إشكالية اللغة الإنسانية في منظور اللسانيات العربية واللسانيات الحديثة
– دراسة في الوظائف والمفاهيم –

THE PROBLEM OF HUMAN LANGUAGE IN THE PERSPECTIVE OF ARABIC LINGUISTICS AND MODERN LINGUISTICS -A STUDY OF FUNCTIONS AND CONCEPTS

أحمد مداني *

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر) a.madani@univ-chlef.dz

تاريخ الإرسال: 2021/01/22 **تاريخ القبول:2021/04/07** **تاريخ النشر: 2021/06/01**

ملخص:

اهتم الفكر اللغوي الإنساني في إطار اللسانيات العربية القديمة واللسانيات الحديثة، بموضوع اللغة أو اللسان البشري، وكان هذا الاهتمام موجها بداية وقبل كل شيء، إلى النظر في ماهيتها وحقيقتها، ثم صار مهتما بالدراسة المبنية على التحقيق في وظائفها، والغاية من وجودها، ولعل كل عالم لساني تجشم البحث في هذا المجال، إلا وطرح في بداية كل بحث من أبحاثه الإشكال الآتي، ما هي اللغة؟

خلال إجابتهم على هذا الطرح اختلفت دراستهم للغة، من حيث تعريفها أو تحليلها، حيث عكفوا على تحليل دقائق خصائص اللغة، تنظيرا وإجراءً، وقد بلغت اللسانيات الحديثة في هذا الإطار درجة من النضج، دفعت بالبحث اللغوي إلى وضع نظريات، أصبحت هي الرائدة في الدرس اللساني المعاصر.

كل ذلك حدث بسبب تبني اللسانيات الحديثة المنهج العلمي الدقيق، المتمثل في الموضوعية والوصفية والشمولية، قصد الوصول إلى النتائج السليمة.

الكلمات المفتاحية: اللغة الإنسانية؛ اللسانيات؛ اللسانيات الحديثة؛ اللسانيات العربية؛ تعريف اللغة؛ وظيفة اللغة؛ خصائص اللغة.

***ABSTRACT* :**

In the context of ancient Arabic and modern linguistics, human linguistic thought was concerned with the subject of human language or tongue, and this interest was directed first and foremost, to looking at what it is and its reality, then he became interested in study based on the investigation of its functions, and the purpose of Its existence, and perhaps every linguist has embodied research in this field, except that the following question was presented at the beginning of each of his researches. What is the language?

During their answer to this argument, their study of the language differed in terms of its definition or analysis, as they engaged in analyzing the precise characteristics of the language, in theory and procedure, and modern linguistics has reached a degree of maturity in this framework, which pushed the linguistic research to develop theories, which became the leader in Contemporary Linguistic Lesson.

All of this happened because modern linguistics adopted the precise scientific method, which is objective, descriptive and comprehensive, in order to reach sound results.

***key words :** Human language; Linguistics; Modern Linguistics; Arabic Linguistics; Definition of language; Function of language; Characteristics of language.*

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

أمام التطور الغربي في حقل الدراسات اللسانية الحديثة، تنوسيت جهود علماء اللسانيات العربية القديمة، أو تغافل عنها الباحثون المتأثرون بالمدارس والنظريات اللسانية التي ظهرت في أوروبا في العصر الحديث، على الرغم من أن علماءها عالجوا قضية اللغة معالجة لا تقل أهمية عن البحوث اللسانية الحديثة والمعاصرة.

واعتمادا على اللسانيات المقارنة التي تتبنى المنهج المقارن سبيلا في مثل هذه الدراسات، يكون موضوع بحثي هذا، وانطلاقا من هذه الفكرة نقوم بدراسة أوجه الاختلاف بين الدرس اللساني العربي القديم والدرس اللساني الحديث، وفي الوقت نفسه، نستقري تحليل تلك الخصائص اللغوية التي تنفرد بها اللغة الإنسانية عند الفريقين، وبناء على هذا الطرح، نستنطق البحث من خلال الإشكال الآتي : ما هي السمات العلمية المشتركة للمنظور اللغوي، بين اللسانيات العربية القديمة واللسانيات الحديثة ؟ وهل هناك فروق يمكن الوقوف عندها ؟

إن هذا البحث سيجلي الإجابة عن هذا الإشكال المطروح، وذلك من خلال المباحث التي سيأتي ذكرها .

2. في تعريف اللغة :

أولت اللسانيات العربية في عهودها المبكرة اهتماما كبيرا للتعريفات، حيث عبر عنها علماء اللغة بمصطلح "الحد"، هذا المصطلح الذي استعمله المنطق الأرسطي، مما أثار حفيظة فريق من اللسانيين المعاصرين الذين رموا الدراسات اللغوية العربية، خاصة الدرس النحوي منها، بأنه متأثر إلى حد كبير يعلم المنطق عند أرسطو، لكن الباحث المنصف والموضوعي والخبير بدقائق المصطلحات، إذا قام بعملية استقراء لمعاني هذا اللفظ، وجد أن الغاية من وضع هذا اللفظ عند كل من المناطقة واللغويين تختلف اختلافا كبيرا، حيث إنها تعني عند أصحاب المنطق الأرسطي، وتستهدف الوصول إلى الماهية أو إلى الجوهر، في حين يقصد بها عند علماء اللسان العربي مصطلح " الحد " – لا سيما النحاة منهم – والمراد بهذا المصطلح التمييز بين المسميات والأشياء، كما هو الحال عند الفقهاء أيضا، والبون شاسع بين الاتجاهين.1

لعل أكثر التعريفات شهرة بين المتخصصين في الدراسات اللغوية، هو تعريف ابن جني (392هـ)، وربما كان أول تعريف للغة احتوى عليه كتابه الخصائص، وذلك قوله : " باب قول على اللغة ما هي ؟ أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "2

هذا التعريف على الرغم من قدمه إلا أنه أثار فضول الباحثين ودعاهم إلى تحليله، كما وضعهم في موقف المتعجب، لأنهم لا يجدونه يزيد على أحسن التعريفات الحديثة للغة، والتي وضعها أصحابها على أسس علمية صرفة، لذا فإن أحدث تعريف للغة، نجده يشتمل على العناصر الواردة في تعريف ابن جني، وهي عناصر ضرورية لوجود أي لغة من اللغات الإنسانية، وهذه العناصر هي :

1.2 صوتية اللغة :

من خلال قول ابن جني "حدها أصوات" تأكد لعلماء اللغة أن كل لغة هي في أصولها الأولى أصوات، وهذه النتيجة هي بإجماع علماء اللغة قديما وحديثا، على الرغم من وجود بعض الفروق الدقيقة بين القدامى والمحدثين، ومن ثم صارت صوتية اللغة تثير اهتمامات أخرى، أدت إلى ظهور بعض الحقائق ، منها :

2.2 شفوية اللغة :

اللغة قبل أن تصير مخطوطة مكتوبة، كانت شفوية في أصلها، وتلك حقيقة تثبتها اللسانيات الحديثة، ثم تحولت إلى وضعها في رموز كتابية بعد ذلك، ولا ريب أن نظرة ابن جني توافق هذا الرأي، وتمثل موقف اللسانيات العربية التي اعتبرت هذه الخاصية من أبرز خصائص اللغة، ناهيك عن قول " ديسوسير" (1913/1857)عندما أكد عليها في إحدى ثنائياته الست وهي ثنائية المنطوق والمكتوب، مقررا أن اللغة يجب دراستها ابتداء من المستوى الصوتي وبعده المستوى الكتابي، وهذا نلمسه في قوله :

"Toute langue et un système particulier des signes linguistique "[3]

ويعني بقوله هذا أن كل لغة هي نظام خاص من العلامات اللغوية

ومن خلال هذا القول نجد ديسوسير يركز على النظام اللغوي الصوتي وغيره من الأنظمة، مما جعل عالما لغويا مثل فندريس (*Vendryes*) 1961/1875)، يذهب المذهب نفسه قائلا : " وهكذا نرى أن الاستعمال مع التقاليد في تأكيد اختلاف اللغة المكتسبة، والواقع أنهما لا يختلطان أبدا، ومن الخطأ أن يظن أن المكتوب يعتبر تمثيلا دقيقا للكلام 4"

ويوافقه (هنري سايسون *H . Swett* 1845 /1912) الذي يرى أن أفكار المتكلم لا تكون إلا بواسطة الأصوات، لذا فاللغة تتعين في أنها " هي التعبير عن الأفكار بواسطة الأصوات الكلامية المؤلفة من الكلمات "5.

و إذا استند الباحث اللساني إلى السياق التاريخي يجد أن اللغة بدأت منطوقة، أي أن الإنسان حينما استعملها لأول مرة استعملها شفويا بواسطة النطق، دون أن يستخدم أدوات الكتابة .

هذا الاعتبار الذي ذكرناه، هو ما دفع علماء اللسانيات الحديثة للاهتمام بالجانب الصوتي الشفوي للغة، إضافة إلى أن التغيرات الصوتية التي تعتري اللغة، تكون في معظمها في المستوى الصوتي كالإدغام والإمالة وغيرها، ذلك أن هذه الظواهر الصوتية لا يوجد لها أثر في الكتابة، لذا فإن التركيز على هذا النوع من اللغة هو الأساس في الدراسات اللسانية، وهو ما جعل بعض الدارسين يقول عنها : " هي اللغة السمعية التي تسمى أيضا لغة الكلام أو اللغة المنطوقة "6

3.2 رمزية اللغة :

أدرك هذه الحقيقة علماء اللسان من العرب القدامى، حيث يرى أبو الفتح ابن جني، أن اللغة في أصواتها ترمز إلى أشياء معينة وأن كل كلمة تحمل رمزا يشير إلى معنى شيء، لا ليس بالضرورة إحضاره أمام المخاطب حتى بتعرف على مطابقته اسمه مع مسماه، بل يكتفي المتكلم بذكره شفويا، فيعرف المخاطب أن تلك الكلمة ترمز إلى شيء موجود في الحقيقة، وهذا يمكن استنتاجه من قوله " وليغنى بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين، فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف إحضاره "7

يلتقي ابن جني في هذا القول مع فكر العالم اللساني همبلت (Humboldt) لذي يرى أن :"اللغات بوجه عام تؤثر التعبير عن الأشياء بوساطة ألفاظ ،أثرها في الآذان يشبه أثر تلك الأشياء في الأذهان"[8]، ويرى محمد المبارك الرأي نفسه ، حين يؤكد أن للحروف والكلمات إيحاء يحيل السامع إلى المعنى ، ويضرب مثالا على ذلك باللغة العربية

قائلا:" إن للحرف في اللغة العربية إيحاء خاصا ، فهو إن لم يكن يدل على دلالة قاطعة على المعنى ، يدل دلالة اتجاه وإيحاء ، ويثير في النفس جوا يهيئ لقبول المعنى ، ويوجه إليه ويوحي به"[9].

وبهذه الأقوالّ ، يتبين أن فكرة ابن جني تحمل وجها من الصحة ، إذ أن كل لفظ يحمل تصورا ما للمعاني أو الأشياء الموجودة في الواقع ، ويجعل الحكم على أي شيئ هو بالضرورة فرع عن تصوره .

د- ثنائية الدال والمدلول :

هذه الثنائية من أبرز أفكار ديسوسير التي أثارت تغييرا كبيرا في الدراسات اللسانية الحديثة والمعاصرة، حيث إنها تؤكد على الصلة القوية بين الصوت (الصورة السمعية) والتصور الذهني (الصورة الذهنية)، وأن كل كلمة هي رمز، له علاقة قوية مع ما يرمز إليه، باعتبار أن اللغة كلها علامات صوتية، وهذا المفهوم هو ما تنبه إليها بعض علماء التراث اللغوي القديم ومنهم ابن فارس (395/329هـ) إذ يقول :" القلم لا يكون قلما إلا وقد بري وأصلح وإلا فهو أنبوبة، وسمعت أبي يقول : قيل لأعرابي، ما القلم ؟ فقال :لا أدري فقيل له توهمه، فقال : هو عود قُلم من جانبه كتقليم الأظفور فسمي قلما " .10

من هذا القول يتضح أن ابن فارس كان له علم بالعلاقة القائمة بين الصوت (اللفظ) ومعناه أو مدلوله، لكن العلاقة بينهما عند علماء التراث ليست اعتباطية كما ذهب إلى ذلك دي سوسير بل هي معللة لها مناسبة معنوية، وقد انتصر لهذا الرأي، ابن جني حين عقد لهذا الموضوع بابين في كتابه الخصائص هما " تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني " و " إمساس الألفاظ أشباه المعاني"، يقول رحمه الله : " وذلك أنهم يضيفون إلى اختيار الحروف والتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها، بها ترتيبها، وتقديم ما يضاهي أول حدث وتأخير ما يضاهي آخره المطلوب ... من ذلك شد الحبل ونحوه، فالشين بما فيها من التفشي تشبه بالصوت أول انجذاب الحبل، قبل استحكام العقد، ثم يليه إحكام الشد، وتأريب العقد، فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين، لاسيما وهي مدغمة، فهو أقوى لصنعتها، وأدل على المعنى الذي أريد بها "11

يتضح من هذا القول أن ابن جني يرى أن كل حرف له دلالة، بحيث إذا لفقت الحروف في كلمة واحدة كونت دلالة عامة للكلمة، ومن ثم فإن الحرف له معنى في ذاته، وأن هناك انسجام وتناسب أصوات الكلمة أي حروفها بالمعنى الدال عليه، وقد تبنى هذه النظرية القديمة لسانيون معاصرون في بحوثهم ،ومنهم صبحي الصالح إذ يقول : " فأهل اللغة بوجه عام وأهل العربية بوجه خاص، كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة الطبيعية بين الألفاظ والمعاني ... فكان لابد من الاقتناع بهذه الظاهرة اللغوية التي تعد فتحا مبينا في فقه اللغات عامة"[12] ، وبذلك تلاقى هذا الموقف مع ابن جني في صعيد واحد .

هذه النظرية اللسانية تخالف ما نص عليه علماء اللسانيات الحديثة الذين يرون أنه لا مناسبة لغوية بين اللفظ كصوت ومدلوله إلا باجتماع الصورة السمعية والصورة الذهنية، لأن الدليل اللغوي هو في رأيهم كيان ذهني مكون من الدال وهو الصورة الصوتية، والمدلول أي المفهوم الذي ينبه الإنسان من تصوره للشيء مشخصا أو مجردا،"ويعد دي سوسير من أشعر المعارضين لأصحاب الصلة بين الألفاظ والدلالات ، إذ يراها اعتباطية لا تخضع لمنطق أو نظام مطرد

،ومع اعترافه بتلك الصلة في الألفاظ التي تعد بمثابة الصدى لأّصوات الطبيعة ، والتي تسمى "onomatopoein" ، يقرر أنها من القلة في اللغات ، ومن الاختلاف والتباين باختلاف اللغات الإنسانية ، بحيث لا يصح أن تتخذ منها أساسا لظاهرة لغوية مطردة ، أو شبيهة بالمطردة ، هي إذن في رأيه مجرد ألفاظ قليلة تصادف أن أشبهت أصواتها ودلا لتها" [13]

هـ– وظائف اللغة :

حينما نعود إلى قول ابن جني في تعريفه اللغة ،نجد عبارة "يعبر بها" تدل على أن اللغة تنحصر في وظيفة أساسية هي التعبير والتواصل، ودون شك أن كل عالم لغوي حديث جعل هذه الوظيفة هي المحور الذي تقوم عليه الغاية من دراسة اللغة، كما هو الحال عند أصحاب المنهج الاجتماعي في العصر الحديث، حيث يركزون على هذا العنصر باعتبار أن اللغة هي أهم وسيلة في الاتصال الإنساني ،وبهذا فاللغة هي أهم عامل من عوامل التوصيل داخل المجتمع.

تبقى الوظيفة الأساسية للغة منحصرة في عمومها في التواصل، وإن كان بعض اللغويين المعاصرين لا يرون هذا الرأي، كمحمد السعران حيث يذهب هو ومن اعتنق هذا الرأي، إلى أن وظيفة اللغة لا تنحصر في الاتصال بين الأفراد فقط، ومن ثم يقولون إن هناك ما يسمى بالكلام الشخصي (المونولوج) أو حديث المرء مع نفسه، وبعض الخطابات الدينية في الصلاة والدعاء، وتعابير اجتماعية كالتحية الصامتة، فهذه كلها عبارات لغوية لا تدل على الاتصال، لكن احتج عليهم العلماء بأن حديث النفس أو المونولوج، انما هو صورة من صور التوصيل اللغوي أيضا، حيث إن المتكلم والسامع هنا يتحققان في شخص واحد، يمكن أن يقال عنه إنه يتصل بنفسه، لذا يرى هيرمان بول(*Paul.h*) (1921/1846)أن اللغة لا تعدو الوظيفة الاتصالية فتكون " وظيفتها الأساسية هي كونها دائما وسيلة لنقل أو توصيل شيء من الأشياء ".[14]

بهذا يتبين أن اللغة لا تعدو أن يكون لها وظيفتان أساسيتان ،هما التعبير عن الأفكار والاتصال بين الأفراد، لذا يقول برتراند رسل (1970/1876) " للغة وظيفتان رئيسيتان التعبير والتواصل ، أي أن التعبير عن الأفكار وما إليها من توصيل هذه الأفكار إلى الآخرين"[15] .

وإثراء لهذا الرؤية اللسانية نحو اللغة، توسع اللساني رومان جاكبسون.*Jacobson R* (1982/1896) في إعطاء الوظيفة اللغوية نقلة واسعة، حيث أشار أن للغة وظائف تنبثق كل وظيفة من عناصر خطا بية، لذا وضع وظائف اللغة كلها من خلال التواصل، وقد تصوره كالآتي:

أ– وظيفة تعبيريةF. Expressive ← المرسل

ب– وظيفة إفهاميةF. Conative ← المرسل إليه

ج– *وظيفة* مرجعية*F. Référentielle* ← السياق

د– وظيفة انتباهية*F. Phatique* ← الصلة

هـ– *وظيفة* معجمية*F. De glose* ← السنن

و– وظيفة*F. Métalinguistique* ← تسمى ما وراء اللغة

ز– وظيفة إنشائية *F. Poétique* ← الرسالة "[16]

يمكن القول إن جاكبسون انطلق في نظريته هذه من اعتبار شيء واحد هو الاعتبار التواصلي لا غير، إذ صارت نظريته من بين النظريات الوظيفية المعتبرة في البحوث اللسانية الحديثة ،وإذا حاول الباحث أن يبحث في وظيفة اللغة ضمن كتب التراث، فإنه يجد أفكارا تتناص مع أفكار جاكبسون وغيره، مع شيء قليل من الاختلاف في المعالجة والتفسير، ومن تلك الكتب التراثية كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ (255هـ)، الذي أعطى للغة بعدها الوظيفي، وذلك حين أورد في معرض حديثه عن البيان عبارة "الفهم والتفهيم" ، ويقصد بهذه الصيغة الإشارة إلى دورة التخاطب، كما تتم بين المتكلم وهو صاحب التفهيم والإفهام، والمخاطب هو صاحب الفهم ".17

يقول الجاحظ : " البيان اسم جامع لكل شيء كشف عن قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقة ،ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجرى القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي بلغت الإفهام، وأوضحت المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع"18

يظهر من خلال هذا القول، أن الجاحظ فطن لوظيفة اللغة من منظور نظريته البلاغية لمصطلح "البيان"، إذ أن هذا المصطلح يمثل لديه مصطلحا جامعا، يجمع كل طرق الاتصال ووسائل التبليغ في المجتمع19

إضافة إلى هذا، فإنه وظف مصطلحات دالة على الاتصال اللغوي كمصطلح السامع والقائل، والفهم والإفهام، بل إنه أدرك مصطلح الباث والمتلقي وإن اختلفت العبارة عنده، حيث عبر عنهما بالمفهم والمتفهم، يقول "و المفهم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل "20

كما أنه عندما أشار إلى أنواع الدلالات منحها المنظور التواصلي، لأن كل صنف منها إنما كان الغرض منه إفهام الرسالة اللغوية المنطلقة من الباث إلى المتلقي، يقول في ذلك "وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد، أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى نصبة "21.

إن نظرة الجاحظ اللسانية تتقاطع حتما مع النظرية اللسانية الحديثة، فيما تتصل بمفهوم الاتصال وطرقه ووسائله، وهذا رأي بعض اللسانيين المعاصرين الذين "وجدوا ثلاثة من وسائل الاتصال الخمس المذكورة عند الجاحظ، يقوم عليها علم اللغة الحديث وهي اللفظ والإشارة والخط "22.

بهذا الاتفاق بين اللسانيات العربية و اللسانيات الحديثة، يتعين لدى الباحث أن اللغة مرتبطة بأبرز خصائصها وهو التواصل ، وهذا ما جعل لسانيا مثل كرتشلي (*Critchly*)"يذهب الى أن اللغة لها قابليتها الذاتية للاستقبال عن طريق نظام العلامات اللفظية من جهة أخرى "23.

و– اجتماعية اللغة :

لما وضع ابن جني حدا للغة قال " كل قوم عن أغراضهم " فكلمة كل قوم تدل على مجتمع بعينه، أي له لسان محدد مغاير للألسنة الأخرى، وبهذا فتعبير ابن جني بكلمة " كل " كان دقيقا وشاملا لتعريف اللغة، بأنها لا تختص بقوم دون قوم، وهذا فقه كبير من قبل جني لحيثية اللغة، إذ اعتبر اللغة ظاهرة إنسانية وبشرية عامة، ولعل باحثا من الباحثين المتخصصين يستدرك فيقول، لم استعمل ابن جني كلمة " قوم " ولم يستعمل كلمة مجتمع ،وكان بمقدوره أن يفعل

ذلك، ودفعا لهذا الإشكال يجيب عبده الراجحي (1971/1937) قائلا : " من الواضح أن كلمة القوم تعني مجتمع، وبخاصة أن لفظة المجتمع، لم تكن مستعملة في هذا المعنى الذي نعنيه الآن، وإنما كان العرب يستعملون قوم، للدلالة على المجتمع كما نفهمه في العصر الحديث " 24.

وإذا أمعنا النظر في حديث" ديسوسير" عن اللغة، نجده يصفها بأنها اجتماعية أيضا، ندرك ذلك من خلال تفصيله الحديث عن مفهوم اللغة والكلام، يقول " ما القصد من اللغة ؟ فالنسبة لنا ألا نخلط اللغة مع الكلام، فهي ليست جزءا محددا مهما، فهي على التوالي منتوج يمكن من الكلام، وكذلك مع المجموعة من الاتفاقات الضرورية، ثم تبنيها من قبل الجسم الاجتماعي، وهذا قصد السماح لأفراده أن يمارسوا هذه القدرة"25.

يعضد هذا الاتجاه الاجتماعي للغة، موقف "فندريس" حيث ركز على اعتبار اللغة رابطا من روابط المجتمع، بقول: "في أحضان المجتمع تكونت اللغة، ووجدت اللغة يوم أحس الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم، فاللغة هي الواقع الاجتماعي بمعناه الأوفى، تنتج من الاحتكاك الاجتماعي، وصارت واحدة من أقوى العرى التي تربط الجماعات، وقد دلت بنشوئها إلى وجود احتشاد جماعي"26.

مع هذه الأقوال التي تتبنى اجتماعية اللغة، نجد مواقف للغويين آخرين أمثال ابن فارس وهو شيخ ابن جني " الذي يصرح بأن اللغة يأخذها مكتسبها من أفراد مجتمعه، ابتداء من أبويه إلى غيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم مر الأوقات، ويأخذ تلقنا من متلقن، وتؤخذ سماعا من الرواة الثقاة ذوي الصدق والأمانة "27.

يساير هذا الرأي ابن خلدون (808/732هـ) الذي يعتبر أحد العلماء الذين فسروا ظاهرة اللغة تفسيرا اجتماعيا، حيث رد أمر اللغة كله إلى المجتمع، وذلك في قوله : " وهي في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم " 28.

يظهر ذلك من خلال لفظة " أمة " التي يعني بها ابن خلدون المجتمع، لأن معنى أمة هو كل تجمع إنساني ولو كان قليلا، بدليل قوله تعالى : " **وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ**[29]" فالقرآن في الآية الكريمة، أطلق معنى الأمة على جماعة تريد الاستسقاء، ولا شك أن جمعهم لا يرتقي إلى عدد ضخم .

2- اللغة والفكر:

هذا العنصر الهام في اللغة نلمحه في قول ابن جني : " أغراضهم " حيث أشار إلى التعبير عن الأغراض، وتلك الأغراض هي ما يدور في عقولهم من أفكار وحاجات، ومن ثم تكون اللغة هي وسيلة للتعبير عن الفكر، بل هي وعاؤه، فلا أفكار دون لغة، ولا تعرف فكرة إلا باللغة، فمن رحم اللغة خرج الفكر، وفي دائرتها تبقى أفكار الناس متداولة ،هذا الموقف من ابن جني نجده منسجما مع منظور رولان بارت (1980/Roland Barthes1915)الذي يقول: " ليس الفكر باطنيا ،ولا وجود له خارج العالم وبعيد عن الكلمات، وما نجده هنا ،ويجعلنا نؤمن بفكر يمكن أن يوجد في ذاته قبل التعبير عنه، هو تلك الأفكار التي تكون قد شكلت وعبر عنها فيما سبق، والتي بإمكاننا أن نذكرها في صمت فنتوهم حياة باطنية، غير أن هذا الصمت في حقيقة الأمر يصح بالكلام، وهذه الحياة الباطنية لغة باطنية، وليس الفكر إلا وعيا فارغا وأمنية لحظية، ولا يعرف القصد الدال ذاته إلا إذا تضمنت الدلالات الموجودة سابقا، والتي تمخضت عن أفعال تعبير سابقة"30.

فاللغة تمنح للإنسان الفكر، وإذا استعمل لغته للتعبير عن أفكاره الخاصة، يكون قد ابتعد عن التراكيب والقوالب اللغوية الجاهزة، ومن ثم تكون له فرصة للإبداع اللغوي، وفي نفس الوقت يساهم في تطوير اللغة بهذا الإبداع، لأنه يخلق لغة جديدة بذلك الإبداع، ولأجل هذا ينماز أسلوب متكلم عن آخر أو كاتب عن غيره، كل ذلك بفضل صوغ الأفكار في صيغ وقوالب جديدة، وفي هذا المعنى يقول عبد الرحمان الحاج صالح : "اللغة هي نفسها معرفة تقنية، وفي نفس الوقت الأداة التي يحلل بها الإنسان على مقاييسها الواقع، ومنذ أن خلق الإنسان احتاج إلى أنه يضع لهذا السبب نفسه الألفاظ الفنية الخاصة، وكثر بتكاثر المسميات المستحدثة على ممر الأيام بل قرون "31 كما أن القول بارتباط اللغة مع الفكر لا يقول به اللسانيون العرب فقط، بل تبناه نعوم تشومسكي (*N Chomsky*)../1928 . حيث يقول بعقلية اللغة في نظرية النحو التوليدي التي انبثقت بدورها من اللسانيات التحويليةLinguistique Transformationnelle

كما أنه رفض الاتجاه التجريبي السيكولوجي للغة " لأن التحليل اللغوي لا ينبغي أن يكون وصفا لما كان قد قاله المتكلمون، وإنما تشريح وتحليل للعمليات الذهنية التي من خلالها يمكن للإنسان أن يتكلم بجمل جديدة"32.

ولا يقف الأمر عند اللسانيين فقط، بل إن علماء التعليميات سيستعينون في تعليم اللغة بهذا المبدأ، إذ نجد أصحاب النظرية المعرفية وفي مقدمتهم جون بياجيه (*Jean Piaget*)(1980/1896)، يرون أن تعليم اللغة هو وظيفة إبداعية، تعتمد على الفكر وليست قائمة على الاكتساب أو على الموروث العقلي الفطري "33.

خاتمة:

مما تقدم ، يمكن أن نخلص إلى النتائج الآتية :

نتائج البحث :

1 – الفكر اللساني العربي القديم ،يتقاطع حتما مع النظريات اللسانية الحديثة في مسألة ماهية اللغة ووظائفها.

2 – اللسانيات العربية القديمة في مجال التحليل اللغوي، كانت سباقة إلى الإشارة إلى خصائص لغوية دقيقة، لم تتمكن اللسانيات الحديثة للوصول إليها إلا منذ زمن قريب .

3 – علماء اللسانيات العربية وضعوا مفاهيم لغوية حديثة في جوهرها وفي مضمونها، على الرغم من تقادمها، مما يجعل أي باحث يدرك أن العلماء القدامى لم يفتقروا إلى المفاهيم اللسانية، بل أعوزهم إيجاد المصطلح المناسب فقط .

4 – كتب التراث اللغوي تحمل في مضامينها مسائل لسانية هامة، لا تزال مغلقة على الباحثين، وتحتاج إلى بحث دقيق، يتوخى الأسرار الخفية الكامنة خلف تلك المعطيات اللغوية الموجودة في أمات الكتب، ككتاب سيبويه وكتاب الخصائص لابن جني وغيرها .

5 – يتبين مما سبق أنه يجب على المشتغلين في حقل علم اللغة الحديث، أن يبحثوا إلى مصادر المعرفة اللغوية العربية، ويبحثوا عن المسائل المعقدة في مظانها، ويحاولوا التوفيق بين النظريات العربية القديمة والحديثة، لأنه رب قول لغوي قديم ، هو حديث في مضمونه، ولو صدر منذ زمن بعيد، ولأجل هذا ينبغي وضعه موضع التفكيك والتشريح ، ولو

ظهرت عليه علامات التقادم، خير من إصدار أحكام لا تستند إلى سند علمي مقنع، سواء أكان مبثوثا ضمن القضايا اللغوية التي أفرزتها اللسانيات العربية القديمة ، أم موصولا بما توصت إليه النظريات اللسانية الحديثة و المعاصرة .

الهوامش :

[1]عبده الراجحي فقه اللغة في الكتب العربية دار النهضة العربية 1979 ،ص47 .

[2]ابن جني " الخصائص، محمد علي نجار، دار الكتب القاهرة، ط1، 1956، ج1، ص33.

[3] *F. De Saussure, Coure de linguistique générale, _3 éd.t. maire Payot 1995, p25*

[4].فندريس " اللغة " ترجمة عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص ، مطبعة نخبة البيان العربي ، القاهرة ، 1950 ، ص40.

[5]ستفيان أولمان " دور الكلمة في اللغة " ترجمة كمال بشر ، د ط ، القاهرة 1962 ، ص12.

[6]فندريس، اللغة، ص3/31

[7]الخصائص، ص 44.

[8] ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو، ط4، القاهرة، 1980، ص68

[9]– محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربيةن دار الفكر، دط، بيروت، دت، ص24.

[10]محمود السعران ، علم اللغة ، دار المعارف ،مصر ، دط، 1962 ،ص77/76

[11]ابن فارس ، الصحابي في فقه اللغة و سنن العربية في كلامها ، تح مصطفى الشويملي ، بيروت 1963 ، ص99/98.

[12]– صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة ، ط3 ، بيروت، 1960، ص12.

[13]– إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص70

[14]الخصائص ، ج2 ، ، ص163/162.

[15]– ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، القاهرة، دط،، 1962، ص12

[16]– عبد السلام المسدين الأسلوبية والأسلوب، دار الكتب الوطنية، بن غازي، ط5، 2006، ص56

[17]صبحي صالح ، دراسات في فقه اللغة ، دط ، جامعة دمشق، 1960 ،ص159.

[18]خولة, طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2000 ، ص20.

[19] *Sh lauch Margaret , the girth of language , new York , 1955 , p1/18*

[20]ستيف أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ترجمة كمال بشير ، القاهرة ، 1962 ، ص12.

[21]المرجع نفسه ص12.

[22]محمد الصغير بناني ، النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ ، من خلال البيان والتبيين ، د ط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983، ص 70

[23]الجاحظ، البيان والتبيين ، مطبعة التأليف ، مصر ، ط3 ، 1986، ج1، ص76

[24]حلمي خليل ، في اللسانيات التطبيقية ، ص 160

[25]الجاحظ البيان والتبيين ، ص11

[26]المرجع نفسه ، ج1، ص67

[27]حلمي خليل ، في اللسانيات التطبيقية ، ص 160

[28]ينظر محمد عماد الدين إسماعيل ،الأطفال مرآة المجتمع ، ص99

[29]– سورة القصص، الأية 23

[30]عبده الراجحي ، فقه اللغة في الكتب العربية ، ص71

[31] *F. dé saussure cours de linguistique générale éd t maire Payot 1995 p 25*

[32]فندريس ، اللغة ، ص 35.

[33]ابن فارس ، الصاحبي ، ص 63/62

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع باللغة العربية

1. ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو، ط4، القاهرة، 1980.
2. ابن جني " الخصائص، محمد علي نجار، دار الكتب القاهرة، ط1، ج1، 1956.
3. ابن فارس ، الصحابي في فقه اللغة و سنن العربية في كلامها ، تح مصطفى الشويملي ، بيروت 1963.
4. الجاحظ، البيان والتبيين ، مطبعة التأليف ، مصر ، ط3، ج1، 1986.
5. خولة, طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2000 .
6. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة ، ط3 ، بيروت، 1960،.
7. صبحي صالح ، دراسات في فقه اللغة ، دط ، جامعة دمشق، 1960 ،ص159.
8. عبد السلام المسدين الأسلوبية والأسلوب، دار الكتب الوطنية، بن غازي، ط5، 2006.
9. عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية 1979 .
10. فندريس " اللغة " ترجمة عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص ، مطبعة نخبة البيان العربي ، القاهرة ، 1950 .
11. محمد الصغير بناني ، النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ ، من خلال البيان والتبيين ، د ط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983.
12. محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربيةن دار الفكر، دط، بيروت، دت.
13. محمود السعران ، علم اللغة ، دار المعارف ،مصر ، دط، 1962 .

المراجع المترجمة:

14. ستفيان أولمان " دور الكلمة في اللغة " ترجمة كمال بشر ، د ط ، القاهرة 1962.
15. ستيف أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ترجمة كمال بشير ، القاهرة ، 1962.
16. ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، القاهرة، دط،، 1962،.

المراجع الأجنبية

17.*F. désaussure cours de linguistique générale éd t maire Payot 1995.*

18.*F. Dessau sure , Coure de linguistique générale ,_3 éd .t. maire Payot 1995.*

19.*Sh lauch Margaret , the girth of language , new York , 1955.*